الصاعقة الخامسة بعد المئة: ضيفٌ ألمّْ برأسي غير محتشمِ(*)

ضيفٌ ألمَّ برأسي غيرَ محتشم ... والسيفُ أحسنُ فعلًا منه باللِّممِ(١)

ابعدْ بعدتَ بياضًا لا بياضَ لهُ ... لأنتَ أسودُ في عيني منَ الظلمِ

بحبّ قاتلتي والشيب تغذيتي ... هوايَ طفلًا وشيبي بالغَ الحلُمِ

فما أمُرّ برسمٍ لا أسائلُهُ ... ولا بذاتِ خمارٍ لا تريقُ دَمي

تنفستْ عنْ وفاءٍ غيرِ منصدعٍ ... يومَ الرحيلِ وشعبٍ غيرِ ملتئمِ

قبّلتُها ودموعي مزجُ أدمعِها ... وقبلتْني على خوفٍ فمًا لفَمِ

قد ذقتُ ماءَ حياةٍ منْ مقبَّلِها ... لو صابَ تربًا لأحيا سالفَ الأممِ

ترنو إليّ بعينِ الظبيِ مجهشةً ... وتمسحُ الطلَّ فوقَ الوردِ بالعنمِ(٢)

رويدَ حكمكِ فينا غيرَ منصفةٍ ... بالناسِ كلِّهم أفديكِ منْ حكَمِ

أبديت مثلَ الذي أبديتُ منْ جَزَعٍ ... ولم تُجنّي الذي أجنيتُ منْ ألَمِ

إذًا لبزَّكِ ثوبَ الحسنِ أصغرُهُ ... وصرتِ مثلي في ثوبين منْ سَقَمِ

ليسَ التعلُّلُ بالآمالِ منْ أربي ... ولا القناعةُ بالإقلالِ منْ شيَمي

ولا أظنّ بناتِ الدهرِ تتركني ... حتى تسدَّ عليها طرْقَها هِمَمي

(*) مناسبة القصيدة: قالها في صباه.

(١) الصيف: الشيب.

(٢) العنم: أطراف الأصابع. والعنم نوع من الأشجار ثمره أحمر.

لُمِ الليالي التي أخنتْ على جِدَتي ... برقةِ الحالِ واعذرني ولا تَلُمِ[١]

أرى أناسًا ومحصُولي على غنمٍ ... وذِكرَ جودٍ ومحصُولي على الكَلِمِ

وربَّ مالٍ فقيراً منْ مروءتهِ ... لم يُثرِ منها كما أثرى من العُدُمِ

سيَصحَبُ النصلُ مني مثل مَضربِهِ ... وينجلي خبري عن صمّةِ الصَّمَمِ

لقدْ تصَّبرتُ حتى لاتَ مصطَبرٍ ... فالآن أقحمُ حتى لاتَ مقتحمِ

لأتركَنَّ وجوهَ الخيلِ ساهمةً ... والحربُ أقومُ منْ ساقٍ على قدمِ[٢]

والطعنُ يحرقُها والزجرُ يقلقُها ... حتى كأنَّ بها ضرباً منَ اللممِ

قد كلمتْها العوالي فهي كالحةٌ ... كأنما الصّابُ مذرورٌ على اللجمِ[٣]

بكلِّ منصلتٍ ما زالَ منتظري ... حتى أدلتُ لهُ منْ دولةِ الخدمِ

شيخٌ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ... ويستحلّ دمَ الحُجَّاجِ في الحرمِ

وكلما نطحتْ تحتَ العجاجِ به ... أسدُ الكتائبِ رامتْهُ ولم يرمِ

تنسي البلادَ بروقَ الجوِّ بارقتي ... وتكتفي بالدمِ الجاري عن الدِّيَمِ

ردي حياضَ الردى يا نفسُ واتركي ... حياضَ خوفِ الردى للشاء والنَّعمِ

إن لم أذرْكَ على الأرماحِ سائلة ... فلا دُعيتُ ابنَ أمِّ المجدِ والكرمِ

أيملكُ الملكَ والأسيافُ ظامئةٌ ... والطيرُ جائعةٌ لحمٌ على وضمِ[٤]

---

(١) أخنى: أفنى.

(٢) ساهمة: متغيرة متحوّلة.

(٣) الصاب: نبات مر. مذرور: مرشوش.

(٤) الوضم: خشبة يقطع الجزار عليها اللحم.

مـنْ لوْ رآني مـــاءً مـــاتَ مـنْ ظمـــإٍ ولـو عَـــرَضـتُ لـه في النـوم لِـمْ يَنـمِ
مـيـعـادُ كـلِّ رقـيقِ الشـفـرتـين غـدًا ومنْ عـصى منْ ملوكِ العُربِ والعجمِ
فـإنْ أجـابوا فـمـا قـصـدي بـهـا لـهـمُ وإن تـولوْا فـــمـــا أرضـى لـهَـــا بـهـمِ

obeikandl.com